نشاط هرمز التجاري وسيطرتها على أهم مراكز التجارة في منطقة الخليج: من القرن ٨هـ/١٤م إلى بداية القرن ١٠هـ/١٦م

أ.د. إبراهيم محمد حامد سليمان

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية دار العلوم – جامعة المنيا.

الملخص:

يأتي هذا البحث ليلقي الضوء على واحدة من أهم المدن التي لعبت دورا رائدا في تجارة منطقة الشرق الإسلامي، وهي مدينة "هرمز الجديدة"، التي ظهرت للوجود مع بداية القرن ٨هـ/١٤م. وقد جاءت روايات الرحالة الذين زاروا المدينة في ذلك الوقت مؤكدة على الازدهار والنشاط التجاري غير المسبوق لهذه الجزيرة، والتي نجحت بفضله في أن تصبح مملكة كبيرة تبسط سيطرتها السياسية والتجارية على العديد من المدن العربية والفارسية وجزر الخليج. وقد ظلت هرمز تمارس هذه الهيمنة التجارية حتى وصول البرتغاليين للمنطقة، الذين نجحوا في فرض سيطرتهم على المدينة عام ١٥١٥م.

الكلمات المفتاحية: هرمز الجديدة؛ تجارة الخليج العربي؛ ساحل عمان

Abstract:

This research comes to shed light on one of the most important cities that played a pioneering role in trade in the Islamic East region, which is the city of "New Hormuz", which was founded at the beginning of the eighth century AH/fourteenth century AD. The accounts of travelers who visited the city at that time confirmed the unprecedented prosperity and commercial activity of this island, thanks to which it succeeded in becoming a large kingdom extending its political and commercial control over many Arab and Persian cities, in addition to the Gulf Islands. Hormuz continued to exercise this commercial dominance until the arrival of the Portuguese to the region, who succeeded in imposing their control over the city in 1515 AD.

Keywords: Hormuz; Arabian Gulf trade; Oman coast

المقدمة:

تعد هرمز واحدة من أهم المدن الواقعة في منطقة الخليج العربي، سواء عندما كانت- بمسماها القديم (هرمز القديمة أو العتيقة) - تقع على الساحل الشرقي من الخليج العربي، بالقرب من مصب نهر ميناب، أو عندما انتقلت- بمسماها الجديد (هرمز الجديدة) - إلى جزيرة جرون. والحديث هنا سيكون منصبا حول "هرمز الجديدة" [١]، التي ظهرت للوجود مطلع القرن ٨هـ/١٤م [٢]، والتي قدر لها أن تلعب دورا رائدا ومحوريا في تجارة تلك المنطقة لفترة زمنية طويلة تتجاوز القرنين من الزمان؛ هذه المكانة التجارية المتفردة التي نالتها الجزيرة تعود من ناحية إلى موقعها الاستراتيجي العبقري الذي جعلها متحكمة في مدخل الخليج العربي وحجر الزاوية في تجارته، هذا إلى جانب السياسة التوسعية والإدارة الذكية لحكامها، الذين نجحوا بفضلها في جعل مدينتهم- أو بالأحرى جزيرتهم- مملكة مزدهرة مترامية الأطراف، وأصبح ميناء هرمز محطة رئيسة يؤمها التجار من شتى البقاع ومختلف الأمصار[٣].

والواقع أن هذه الدراسة تأتي استكمالا لبحث كنت قد قمت بنشره منذ عدة سنوات [٤]، تحدثت فيه عن العلاقات التجارية الخارجية التي ربطت "هرمز الجديدة" بالعديد من المدن والبلدان التجارية الشهيرة في منطقة الشرق؛ مثل بلاد الهند وبلاد الصين وبلاد اليمن ومصر بالإضافة إلى عدد من المدن الفارسية، وتطرق البحث كذلك للدور الملموس الذي لعبه حكام هرمز في النهضة والازدهار التجاري الذي وصلت إليه، هذا فضلا عن إبراز مكانة هرمز في المشروع البرتغالي الصليبي، والتعرض لأهم الحملات العسكرية البرتغالية التي نجحت عام ١٥١٥م في إخضاع الجزيرة لنفوذهم. أما هذه الدراسة التي أقدم لها الآن فتأتي مركزة على إظهار النشاط التجاري الداخلي في هرمز، اعتمادا على روايات الرحالة والمؤرخين العرب والغربيين، بالإضافة إلى إعطاء لمحة عن أهم المدن والجزر التي كانت خاضعة لنفوذ حاكم هرمز، والتي بفضلها نجحت تلك الجزيرة الصغيرة في أن تصبح مملكة مزدهرة، ذات علاقات تجارية وسياسية متشعبة.

١. الازدهار التجاري لهرمز من خلال شهادة الرحالة والمؤرخين

لعلنا لا نتجاوز الحقيقة عندما نؤكد على أن النهضة التي شهدتها هرمز خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين يعود الفضل فيها للحركة التجارية الضخمة التي شهدتها الجزيرة خلال تلك الفترة، وذلك رغم حالة عدم الاستقرار السياسي الذي عانت منه المدينة آنذاك بسبب المشاحنات والحروب الدائمة التي كانت كثيرا ما تقع بين أفراد الأسرة الحاكمة [٥]. فقد اكتسبت المدينة أهمية كبيرة بفضل مينائها الشهير، الذي كان المكان المفضل للسفن التجارية القادمة من أماكن مختلفة؛ ونتيجة لذلك فقد أصبحت هرمز بمثابة المستودع الرئيس لكل تجارة الشرق، وحلقة الوصل في التبادل التجاري بين مدن فارس الداخلية وبين مدن الساحل الهندي الغربي، حتى أنه يقال إن نصف عدد المراكب التجارية المتجهة من السواحل الهندية إلى بلدان الشرق الإسلامي كانت تتجه إلى ميناء هرمز[٦]. كما أنه عبر هرمز كانت المنتجات الهندية تخترق الخليج العربي وصولا إلى بغداد والبصرة ثم من هناك تنقل إلى البلاد السورية، حيث تكون السفن التجارية لمدن الغرب الأوروبي في انتظار تلك البضائع لحملها إلى بلادهم [٧].

ولم يقتصر دور هرمز على كونها المستقبل لتلك التجارة، بل شارك أهلها في تجارة الشرق المزدهرة؛ فخرجوا بقوافلهم التجارية إلى بلاد الهند وبغداد والقاهرة والتركستان وبلاد التتر وغيرها من المدن والبلاد [٨]. ولكون المدينة أصبحت واحدة من أهم وأغنى الأسواق التجارية في بلاد الشرق، فإن أهل فارس كانوا يضربون بها المثل قائلين : "إنه إذا كان العالم عبارة عن خاتم فان هرمز بمثابة فص ودرة هذا الخاتم" [٩]. هذا الازدهار التجاري الذي شهدته هرمز انعكس بلا شك على الأحوال المعيشية لسكانها؛ فمع بداية القرن ١٦م تشير المصادر إلى أن عدد سكان الجزيرة تجاوز أربعين ألف نسمة، "كانوا يعيشون في مستوى عال من الرفاهية والثراء، بالرغم من أنهم كانوا يحضرون معظم احتياجاتهم الرئيسة من خارج الجزيرة" [١٠].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هرمز كانت مثار إعجاب الرحالة والتجار الأجانب القادمين إليها، سواء بفضل رفاهية ورخاء الأهالي أو بسبب جمال وأناقة المدينة؛ فشوارع المدينة المبلطة كانت تغطى بالحصر والسجاجيد الكبيرة، وقد كانت تلك الطرقات متنزها للتجار الأغنياء القادمين من بلاد العرب وبلاد فارس(١١). كما اهتم الأهالي بتزيين منازلهم من الداخل بالزهريات والأواني الفخارية والزهور والأشجار الصغيرة. ونظرا لشدة الحرارة داخل هرمز فقد كان الأهالي يغطون أسطح منازلهم بمضارب حتى تقيهم أشعة الشمس المحرقة (١٢). ولعله من المفيد في هذا السياق أن نذكر شهادة بعض الرحالة العرب والغربيين الذين زاروا هرمز، ونقلوا لنا عظم الحركة التجارية، وسجلوا إعجابهم الشديد بما شاهدوه داخل تلك الجزيرة. فالرحالة العربي الشهير ابن بطوطة، الذي أقام في المدينة بين عامي ٧٣٠هـ-٧٣٢هـ، يصفها بأنها "مدينة حسنة كبيرة، لها أسواق حافلة، وهي مرسى الهند والسند، ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقين وفارس وخراسان، وهذه المدينة سكنى السلطان" (١٣).

أما عبد الرزاق السمرقندي، مبعوث السلطان التيموري شاه رخ إلى بلاد الهند عام ١٤٤٢م، والذي زار هرمز أثناء تلك الرحلة، فيصفها بأنها المكان الذي ليس له مثيل في العالم أجمع. ويضيف أن تلك المدينة كانت ملتقى التجار القادمين إليها من مختلف البلدان؛ فهناك تجار من مصر وسوريا وبلاد الروم وبلاد فارس وخراسان والعراق وبلاد ما وراء النهر. كما كان يفد إليها أيضا تجار من ساحل المليبار والكوجرات وسوقطرة والبنغال وبلاد الصين. كل هؤلاء التجار كانوا يجلبون معهم البضائع الثمينة والنادرة (١٤). ويبدو أن إعجاب عبد الرازق بهرمز دفعه لأن يجعل منها مضربا للأمثال؛ فعندما وصل إلى ميناء قاليقوط على الساحل الهندي، وأراد أن يصف جمال هذا الميناء واستقباله للتجار من مختلف الأمصار، ذكر أن ميناء هذه المدينة يتشابه مع ميناء مدينة هرمز (١٥).

كما أن المؤرخ ابن قاضي شهبة ذكر مدينة هرمز في مؤلفه، واصفا إياها بكونها "محطا ومكانا لتجمع كبار التجار الذين سكنوا لبعض الوقت في تلك المدينة، ومن هؤلاء التجار عبد الله بن عبد

المؤمن بن الوجيه (ت ٧٤١)، ونظرا لكونه من كبار الشيوخ القراء وصاحب تصانيف مشهورة في علم القراءات فقد أخذ عنه هذا العلم كثير من أهل هرمز" [١٦].

وإذا كانت المصادر العربية لم تعطنا معلومات وفيرة عن الوضع التجاري لمدينة هرمز، فإنه – على النقيض من ذلك – جاءت كتابات الغربيين أكثر وفرة وتفصيلا، نظرا لكثرة عدد الرحالة الأوربيين الذين زاروا المدينة في ذلك الوقت. فيتحدث الرحالة أودوريك Odoric عن هرمز التي قدم إليها عام ١٣٢١م قائلا إنها "جيدة التحصين، وأنها تمتلك متاجر كبيرة ممتلئة بالبضائع والمنتجات فائقة الجودة" [١٧]. ومع منتصف القرن ٨هـ/١٤م زار رجل الدين المسيحي Raynal هرمز، ويبدو أن هذه الرحلة كانت لها أهداف تبشيرية. وقد أسهب هذا الرحالة في وصف جمال المدينة وشهرتها التجارية قائلا: "أصبحت هرمز عاصمة إمبراطورية تشمل جزءا كبيرا من بلاد العرب وجزءا آخر من فارس. والمنظر الذي يجده الواحد عند وصول التجار الأجانب إلى هرمز أجل ما يمكن أن تقع عليه العين في أي مدينة في الشرق. فالتجار في جميع أنحاء العالم يتبادلون سلعهم ويرتبون أشغالهم بمنتهى الأدب واللياقة.... كانت الشوارع مغطاة بالحصر وفي بعض الحالات بالبسط، كما أن الأغطية الكتانية المعلقة من السطوح كانت تقي الناس حر الشمس الشديد" [١٨].

كما أشار الرحالة الروسي Afanasii Nikitin– الذي زار المدينة عام ١٤٧٢م– إلى أن هرمز متسعة الأطراف وواحدة من أكبر الأسواق التجارية في العالم، وكان يفد إليها كثير من التجار الأجانب محملين بشتى أنواع البضائع، وهو الأمر الذي دفع Nikitin إلى القول بإن أي شيء ينتج في العالم حتما سيوجد في هرمز. ويؤيد هذا الحديث أيضا الرحالة البندقي Barbaro الذي قدم إلى المدينة بعد ذلك بقليل، مؤكدا على النشاط والرواج التجاري داخل المدينة [١٩].

أما الرحالة ومبعوث (جاسوس) ملك البرتغال إلى الشرق بدرو كوفلهام Pero de Covilhã – المكلف باستكشاف تجارة الشرق ومصادرها وطرقها، والتعرف على مملكة القديس يوحنا Prêtre-

Jean– فقد قام بإرسال رسالة إلى الملك البرتغالي يوحنا الثاني Jean II عام ١٤٨٧م يخبره فيها بازدهار ورخاء مدينة هرمز بفضل تجارتها؛ فهي المكان الذي تنتهي إليه القوافل التجارية القادمة من بلاد الهند والصين، وهو الأمر الذي جعل منها واحدة من أغنى مدن الشرق [٢٠]. ومع بداية القرن ١٠هـ/١٦م زار الرحالة الإيطالي الشهير فارتيما Ludovico Di Varthema هرمز ووصفها بأنها "مدينة نبيلة وفائقة الجمال". وأضاف أن تلك الجزيرة – رغم عدم توفر الماء العذب بها – نالت أهمية تجارية كبرى بفضل امتلاكها لميناء بحري مميز، بالإضافة إلى كونها تمثل مركزا تجاريا من الدرجة الأولى في المنطقة [٢١]. وفي موضع آخر يبين فارتيما عظم الحركة التجارية داخل ميناء المدينة، ذاكرا أن عدد السفن المتجهة إلى هذا الميناء كان يبلغ أحيانا ثلاثمائة سفينة قادمة من بلدان مختلفة[٢٢].

ويذكر المؤرخ والرحالة البرتغالي دوارتي بربوزا Duarte Barbosa أن تجارا من مختلف الجنسيات كانوا يقيمون في جزيرة هرمز، وأن ميناء المدينة كان محطا للقوافل التجارية المحملة بشتى أنواع البضائع [٢٣]. ويضيف بربوزا أن تلك المدينة تشتمل على مبان وبيوت حسنة البناء، وأنها مبنية بالحجارة ومطلية بماء الكلس. أما شوارع وميادين المدينة فقد اتسمت بالجمال والتنظيم [٢٤]. وفي ثنايا حديثه عن عناصر السكان، يصف هذا الرحالة أهالي هرمز بأنهم "حسنو المظهر؛ فهم يرتدون قمصان بيضاء طويلة من القطن الرائع، وسراويلهم أيضا من القطن الفخم. وفوق هذا يرتدون ملابس من الحرير غالية الثمن، إلى جانب الملابس القرمزية، ويضعون شاشا فخما على خصرهم" [٢٥]. ويضيف بربوزا أن معظم أهالي هرمز يمتلكون الحدائق والمزارع التي يقضون فيها عدة أشهر خلال العام من أجل الاستمتاع واللهو [٢٦]. إلا أن هذا الرحالة وضع التجار في أعلى قائمة السلم الطبقي داخل المدينة، واصفا إياهم بالطبقة "الأكثر ثراء ورفاهية" [٢٧]. وتحدث القائد البرتغالي الفونسو البوكيرك عن الأهمية التجارية لتلك المدينة قائلا: "هناك ثلاث أماكن في الهند هي بمثابة أسواق لكل تجارة البضائع الرائجة في ذلك الجزء من العالم والمفاتيح الرئيسة لها، وأولها ملقا باعتبارها مخرج

مضايق سنغافورا، والثانية هي عدن في مدخل ومخرج مضايق البحر الأحمر، والثالثة هي هرمز في مدخل ومخرج مضايق الخليج.... وأن مدينة هرمز هذه هي في اعتقادي أهمها جميعا" (٢٨).

أما الرحالة والسفير البرتغالي إلى بلاد الصين تومي بيرس Tome Pires، فيذكر أن هرمز بجانب غناها وازدهارها فإنها كانت تعد مفتاح بلاد فارس. وعندما تطرق للحديث عن سكان المدينة أكد بيرس أنهم أناس متحضرون بطبيعتهم ويألفون الغرباء، وأنهم يمتلكون منازل حسنة البناء (٢٩). ويذكر هذا الرحالة أنه بفضل التجارة المزدهرة داخل المدينة وجدت طبقة مترفة ومنعمة داخل المجتمع، ويأتي على رأس تلك الفئة كبار التجار (٣٠). وفي ثنايا حديثه عن المدينة، يقول المؤرخ البرتغالي تكسيرا Teixeira "إن هرمز تعد المستودع والسوق الرئيس لكل العالم؛ حيث يتم داخل أسواقها شراء وتبادل جميع أنواع البضائع والسلع"، مما أتاح لها أن تحظى بمكانة تجارية رفيعة، انعكست على الواقع المعيشي لسكانها (٣١).

ويمكن أن نضيف هنا شهادة المؤرخ والرحالة الصيني ماهوان Ma Huan الذي زار هرمز عدة مرات خلال النصف الأول من ٩هـ/١٥م. إذ يذكر هذا القائد أن السفن كانت تأتي إلى هرمز من جميع البلدان، "ويجيء إليها تجار غرباء يسافرون في البر ويذهبون جميعا إلى السوق ويشتركون في البيع والشراء. لذلك أهل هذه البلاد أثرياء" (٣٢).

خلاصة القول إن هرمز أبهرت كل الرحالة الذين قاموا بزيارتها من القرن ٨هـ/١٤م وحتى بدايات القرن ١٠هـ/١٦م. ولا ريب في أن ازدهار وشهرة المدينة وثراء سكانها يعود في المقام الأول إلى النشاط التجاري الملحوظ الذي شهدته المدينة آنذاك، كما شهد بذلك هؤلاء الرحالة. هذا الأمر يجعلنا نؤكد على أن هرمز الجديدة لم تفقد شهرة ورونق هرمز القديمة، بل على النقيض من ذلك فقد فاقتها أهمية وازدهارا.

٢. الأسواق داخل هرمز

مثلت التجارة وعائداتها المصدر الأول والرئيس في دخل وميزانية هرمز، وهو الأمر الذي جعل حكامها يولون أهمية كبيرة لتنظيم هذه التجارة ومعاملاتها داخل جزيرتهم، كما أنهم كانوا حريصين على تشييد الأسواق والقيساريات التي كانت تعد المكان الرئيس لممارسة البيع والشراء ليس بين الأهالي المحليين فحسب، وإنما كذلك للتجار الأجانب القادمين إلى الجزيرة من شتى أنحاء الدنيا؛ فبحسب ما سجله فارتيما كان يوجد داخل المدينة– مع بداية القرن ١٠هـ/١٦م– أكثر من أربعمائة تاجر ووكيل أجنبي، "كانوا مهتمين بالسلع المختلفة التي تنقل إليها، مثل الحرير واللؤلؤ والأحجار الكريمة بالإضافة إلى التوابل"، مؤكدا أن اللؤلؤ المباع في أسواقها كان يعد أكبر حجما وأكثر تبادلا ورواجا من أي مكان آخر [٣٣]. وتروي لنا المصادر أن الملك تورانشاه الأول (١٣٧٧–١٣٤٧) عندما قام ببناء عدد من المساجد والمدارس إلى جانب قصره الملكي، لم يفته أن يقوم بتشييد العديد من المحلات التجارية، وهو الأمر الذي أدى إلى وجود حركة تجارية نشطة في تلك المنطقة [٣٤]. وسوق هرمز الرئيس– كما هو الحال في معظم المدن العربية الإسلامية آنذاك– كان يقع إلى جانب الجامع الكبير [٣٥].

ولعل رواج الحركة التجارية داخل أسواق هرمز وكثرة المحلات بها نستطيع أن نلمسه من خلال الكلمات الموجزة التي أوردها ابن بطوطة، قائلا إنها: "مدينة حسنة كبيرة، لها أسواق حافلة" [٣٦]. كما أن الرحالة والمؤرخ الصيني ماهوان يذكر– أثناء وجوده في هرمز عام ١٤٣٣م– أن تلك الأسواق تضم جميع أنواع المخازن، وفيها جميع أصناف السلع، إلا أنه أشار إلى أن الشيء الوحيد الذي لم يكن موجودا بهذه المحلات هي الخمور؛ "لأن قانون البلد يحرمها وينزل أشد العقوبة بمن يشربها" [٣٧]. وإن كان المؤرخ البرتغالي بربوزا قد أشار إلى أن بعض الأهالي كانوا يقومون بشرب الخمر في الخفاء– بسبب تحريمها– تفاديا لتلك العقوبة [٣٨].

وعند الحديث عن أهم أنواع السلع التي كان يتم بيعها في أسواق المدينة، ينبغي الإشارة بداية إلى أن معظم المنتجات والبضائع التي اشتهرت بها بلدان ومدن المحيط الهندي- خاصة بلاد الهند- كانت تصل إلى تلك الأسواق بكميات وفيرة، سواء عن طريق تجار هرمز أو عن طريق التجار الكوجراتيين القادمين بسفنهم إلى المدينة. فهناك الملابس القطنية وأنسجة كمباي الشهيرة والقطن والنيلة القادمة من بلاد الكوجرات [٣٩]. ومن مدن ساحل المليبار كانت تصل التوابل ذات الشهرة العالمية، وفي مقدمتها الفلفل [٤٠]. كما قام تجار هرمز بحمل كميات كبيرة من السكر والحديد والفلفل والزنجبيل وسائر التوابل من جوا الهندية إلى أسواق مدينتهم. وتوجه هؤلاء التجار كذلك إلى مدينة دابول، إحدى مدن منطقة كنكن، وحملوا منها التوابل والقمح وغيرها من السلع [٤١]. ويعد الأرز من أهم السلع الهندية التي لاقت رواجا كبيرا في أسواق هرمز، وذلك لأنه كان يمثل الغذاء الرئيس للسكان، وتبدو لنا قيمة وأهمية هذه السلعة في ضوء ما ذكرته المصادر البرتغالية من أن عدم وصول الأرز الهندي كان كفيلا بإحداث "مجاعة كبيرة في هرمز" [٤٢]. وفيما يخص بلاد الصين وسلعها، فقد استقبلت أسواق هرمز الخزف الصيني الشهير، إلى جانب الحرير والمسك، اللذين نالت بهما الصين شهرة كبيرة في تجارة العصور الوسطى [٤٣]. أما المدن الفارسية فقد كانت مصدرا مهما لتزويد أسواق هرمز بالعديد من المنتجات الثمينة مثل الأقمشة الحريرية والسجاد والأسلحة [٤٤]. وعن طريق بلاد اليمن ظهرت في الأسواق الهرمزية العديد من سلع الغرب الأوربي، مثل الأنسجة والبخور والعطور بالإضافة إلى معدني النحاس والزئبق [٤٥]. هذا فضلا عن أن بعض المنتجات العدنية المحلية مثل الزبيب والفُوَّة (وهو نبات صبغي) ظهرت بكميات كبيرة في أسواق المدينة [٤٦].

من ناحية أخرى، ورغم امتلاء الأسواق بكافة أصناف المواد الغذائية، إلا أننا نلاحظ انتشار التمر والأسماك بكثافة داخل تلك الأسواق، ولعل السبب في ذلك يعود إلى كون هذين العنصرين الغذائيين كانا من الوجبات الرئيسة لسكان هرمز [٤٧]. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه نتيجة لمعاناة المدينة من نقص حاد في المياه العذبة، كما أشار إلى ذلك معظم الرحالة الذين زاروا الجزيرة، فان مياه الشرب-

بعد جلبها من الجزر المجاورة والشاطئ الفارسي– كانت تباع في جميع الأماكن، وكان يقوم بائعوها أحيانا بتوصيلها إلى البيوت، حاملين معهم الأباريق الكبيرة (٤٨).

ويبدو أنه كان يوجد داخل الأسواق بعض المحلات المتخصصة في بيع الوجبات الجاهزة، كما يشهد بذلك ماهوان الذي يذكر "أن العديد من الأسر الهرمزية لم تكن توقد نيران مطابخهم لإعداد غذائهم، وإنما كانوا يشترون ما يحتاجونه من وجبات من الأسواق" (٤٩). كما أشار المؤرخ البرتغالي جاسبار كوريا Gaspar Correia– الذي كان في المدينة عام ١٥١٥م– إلى أن أكثر من عشرة آلاف شخص من أهالي هرمز كانوا يفضلون تناول وجباتهم في المطاعم العامة. وقد عد هذا المؤرخ اثني عشر شارعا داخل المدينة، قائلا إن كل واحد منها يحتوي على عشرين محلا في كل جانب. وهذه المحلات تشتمل على أواني طهي كبيرة الحجم لتسوية الأرز والخراف المشوية. هذه المحلات كانت تفتح أبوابها طوال ساعات اليوم؛ "حتى أن بعضها كان يبدأ نشاطه ليلا ويستمر حتى الفجر"(٥٠).

وبصفة عامة تعتبر اللحوم من أهم الوجبات التي أقبل على شرائها الأهالي؛ حيث كانوا يشترون اللحوم بنوعيها المشوية والمسلوقة (٥١). فالمؤرخ البرتغالي بربوزا يحدثنا عن العادات الغذائية لأهالي تلك المدينة ذاكرا أنهم كانوا يهتمون كثيرا بشراء اللحوم، ويأكلون إلى جانبها الأرز والخبز بالإضافة إلى العديد من الأطباق الأخرى، هذا إلى جانب الفواكه الطازجة أو المحفوظة كالتفاح والخوخ والمشمش والتين. ويضيف هذا المؤرخ أن تلك الوجبات قد تميزت بإعدادها الجيد وبنظافتها (٥٢).

وتعد العطور من أهم البضائع التي شهدت رواجا كبيرا داخل أسواق المدينة؛ فقد كان معظم الأهالي يقبلون على شرائها، "حتي أن الحمالين والعاملين داخل الأسواق كانوا ينفقون معظم ما يحصلون عليه من أموال على شراء هذه العطور" (٥٣). وكان من المعتاد أن يقوم بائعو العطور برش عطورا مخففة في الشوارع والبازارات التي يمر فيها التجار الأثرياء، ولعل هذا الأمر كان يعد من قبيل التسويق لبضائعهم (٥٤).

وفي المجمل شهدت حركة البيع والشراء نشاطا كبيرا داخل تلك الأسواق؛ فقد اكتظت المحلات والمتاجر بزبائنها؛ إذ كان من المعتاد أن تنزل النساء يوميا إلى تلك الأسواق "وهن مغطيات الرأس"، حتي يحصلن على ما يحتجن إليه من مواد غذائية أو مستلزمات أخرى كالأقمشة والملابس والعطور وغيرها (٥٥).

أما عن معدل الأسعار داخل أسواق هرمز، فإنه رغم وفرة كل أنواع الأطعمة والفواكه إلا أنها كانت مرتفعة الثمن للغاية، والسبب في هذا الأمر يرجع إلى أن هرمز كانت تعتمد في تغطية حاجياتها المعيشية من المواد الغذائية على استيرادها من مدن الساحل العربي أو المدن الفارسية (٥٦). كما أنه يجب الوضع في الاعتبار أن حالة الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي الذي كثيرا ما كانت تعاني منه المدينة– سواء أكان ذلك نتيجة للصراعات الداخلية على الحكم أم نتيجة للحروب التي دخلها حكام المدينة أحيانا مع منافسيهم وأعدائهم الخارجيين–، أقول إن هذا الأمر كان يؤدي بلا شك إلى وقوع الغلاء داخل هرمز (٥٧). وقد أشار الرحالة فار مورو Far Mauro إلى أنه بسبب هذا الارتفاع في أسعار السلع فقد كان من الطبيعي أن تتسم معظم طبقات السكان بالغنى واليسار، "حتى تتمكن من الإنفاق على متطلبات الحياة" (٥٨).

مهما يكن من أمر، فإنه بالرغم من هذا الغلاء فإن أسعار السلع والمنتجات كانت ثابتة داخل الأسواق، ومن أجل ضبط الحركة التجارية داخل المدينة والمحافظة على توازن الأسعار فقد قامت السلطات الهرمزية بفرض عقوبات قاسية على كل التجار الذين يقومون بتجاوز ومخالفة الأسعار المعلنة، أو أولئك الذين يقومون بالغش في الأوزان (٥٩). هذه الإجراءات أوجدت نوعا من الأمن والأمان داخل المدينة، وهو الأمر الذي أكده القائد البرتغالي البوكيرك، ذاكرا أنه بعدما استولى على المدينة عام ١٥١٥م وجد بها البضائع التي كان قد تركها في أحد المستودعات، أثناء محاولته الأولى للاستيلاء على هرمز عام ١٥٠٧م (٦٠). كما أن الشيء الجدير بالملاحظة هو أن تلك الأسواق لم

تقتصر على حركة البيع والشراء، وإنما كانت أيضا بمثابة مهرجان كبير؛ حيث كان يوجد المهرجون والمغنون والموسيقيون والقصاصون، وهو الأمر الذي يعطينا انطباعا بانتشار الحيوية وروح المرح داخل تلك الأسواق [٦١].

والحديث عن الأسواق يتطلب بطبيعة الحال التعرض لذكر أهم العملات السائدة في هرمز آنذاك، وهو الأمر الذي سيتيح لنا التعرف من جهة على طريقة التعامل التجاري في الأسواق الداخلية، والوسيلة التي استخدمها تجار هرمز في تعاملاتهم الخارجية من أجل الحصول على البضائع والمنتجات من جهة أخري. في هذا السياق يذكر المؤرخ بربوزا أنه داخل مدينة هرمز كانت توجد دار للسكة، من أجل ضرب العملات الذهبية والفضية. وكانت القطع المعدنية الذهبية تسمى *safarin* (أشرفي)، وهي مستديرة الشكل، وتسبك من الذهب النقي، وتنقش أحرف عربيّة على وجهيها، والواحدة منها كانت تساوي ثلاثمائة *maravedis* (مرابطية وهي عملة إسبانية من النحاس وترجع تسميتها إلى دولة المرابطين). أما العملة الفضية "فمتطاولة مثل حبة الفاصولياء"، وقد نقشت أحرف عربية على وجهيها، وفضتها نقية جدا. وهاتان العملتان الذهبية والفضية كانتا متوفرتين بكثرة في مدينة هرمز، بحيث إن أصحاب السفن القادمة إليها محملة بالسلع والبضائع كانوا يستطيعون أن يقبضوا ثمن بضائعهم بهاتين العملتين، وأن يشتروا بهما كذلك الخيول وغيرها مما يريدون حمله معهم، "وأن يأخذوا معهم ما يزيد من النقود إلى الهند، لأنها متداولة فيها وقيمتها عالية هناك" [٦٢]. ولعل مما ساعد على انتشار عملات هرمز في البلدان المختلفة هو ما اتصفت به من نقاء، بالإضافة إلى سلامة وزنها [٦٣].

كما أن الرحالة والمؤرخ الصيني ماهوان يذكر أن هرمز كانت تمتلك واحدا من أهم دور الضرب الموجودة في منطقة الخليج العربي، وأن ملك هرمز أكثر من سك العملة الذهبية – أي الدينار – في بلاده [٦٤]. وقد كشفت بعض الحفريات الحديثة ألف قطعة عملة من البرونز مسكوكة في هرمز بين

عامي ١٣٢٠م و ١٦٠٠م، وقد وجد على أحد وجهي إحدى القطع نقش مقروء نصه "عدل جرون"، وعلى الوجه الآخر رسمت مرساة سفينة [٦٥]. على أن الشيء الملاحظ هنا هو أن بعض العملات الفضية والذهبية المسكوكة كانت تحمل اسم ملك هرمز، إلا أن الغالبية العظمى منها كانت تخلو من ذكر اسم من قام بسكها. ولعل هذا الأمر يمكن تفسيره بأن دوافع سك العملة في هرمز لم تكن بالأساس من قبيل إضفاء نوعا من الهيبة لحكام الجزيرة أو تخليد لذكراهم، وإنما ظلت التجارة وتسهيل سبل العمليات التجارية هي الدافع الأول لسك العملات في هرمز [٦٦].

٣. سيطرة هرمز على أهم المراكز التجارية في منطقة الخليج

منذ وصولهم إلى جزيرة جرون لم يدخر حكام هرمز جهدا من أجل الارتقاء بمدينتهم الجديدة. بيد أن الطبيعة الجغرافية الصعبة للمدينة، بالإضافة إلى حالة المناخ السيئ كانت تقف حائلا أمامهم من أجل الوصول إلى نهضة زراعية أو صناعية مأمولة. لذا فلم يكن أمام هؤلاء الحكام إلا أن يركزوا جل اهتمامهم على تنشيط الحركة التجارية، وقد ساعدهم على ذلك الموقع الاستراتيجي لجزيرتهم، بالإضافة إلى امتلاكها لميناء مميز. ومن أجل الوصول إلى فرض الهيمنة التجارية في المنطقة، كان لزاما على هرمز أن تدخل في تنافس أو بالأحرى تصارع مع بعض الجزر والمدن الأخرى التي كانت تمثل آنذاك ثقلا تجاريا مهما، والتي كانت تقوم بدور الوسيط في نقل منتجات وبضائع بلاد الهند والصين إلى بلاد العراق، ومن هناك إلى مدن الساحل السوري حيث يكون في انتظارها تجار الغرب الأوربي [٦٧].

من ناحية أخرى، كان هناك عامل آخر دفع ملوك هرمز إلى محاولة إخضاع المدن المجاورة لنفوذهم؛ فقد أسهب الرحالة العرب والغربيون في الحديث عن حالة الجفاف والقحط الذي كانت تعاني منه هرمز؛ بحيث إنه لم يكن ينبت فيها زرع أو عشب؛ فيؤكد الرحالة ابن بطوطة وفارتيما والمؤرخ بربوزا على أن المدينة كانت تعاني نقصا شديدا في مياه الشرب، وفي المواد الغذائية؛ لذا فقد سعت

إلى تحصيل هذه المواد الضرورية من المدن والجزر المجاورة لها [٦٨]. والأمر نفسه يؤكده المؤرخ البرتغالي تكسيرا، مشيرا إلى ندرة المياه الصالحة للشرب "باستثناء قليلا من مياه الأمطار التي كانت توضع في صهاريج" [٦٩]. بيد أن حكام هرمز لم يرق لهم أن تظل مدينتهم معتمدة في الحصول على ما تحتاج إليه من مواد غذائية ومياه على ما يصل إليها من تلك الجزر؛ لذلك سعى هؤلاء الحكام للخروج من تلك التبعية؛ فنجدهم منذ القرن ١٤م يعملون على فرض سيطرتهم على بعض المدن والجزر الواقعة على الساحل العربي، إضافة إلى بعض المدن الفارسية التي تقع قبالة المدينة، والتي كانت تعد من جانب آخر مراكز مهمة على الطريق التجاري المؤدي إلى تبريز وأصفهان [٧٠].

ونظرا لبسط سيطرتها على عدد كبير من الجزر والمدن الواقعة على الساحلين العربي والفارسي، فقد أطلق على هرمز اسم "إمبراطورية أو مملكة"، وهذا اللقب لم تكتسبه بسبب اتساع رقعة مساحتها أو قوة جيشها وأسطولها، وإنما بفضل الهيمنة التجارية المطلقة التي مارستها في المنطقة [٧١]. على أن الشيء الجدير بالملاحظة في هذا المقام هو أنه في المناطق والمدن النائية كان يكتفي حكام هرمز بأن يحصلوا من الأسر الحاكمة على التبعية الاسمية، دون أن يعملوا على خضوع تلك المدن لسلطتهم المباشرة [٧٢]. مهما يكن من أمر، فإن ما سنعرضه من حديث عن تلك المدن التي كانت خاضعة لسلطة هرمز ليس المقصود منه إعطاء سرد أو وصف كامل لتاريخها بقدر ما هو بيان للفائدة الاقتصادية– وفي مقدمتها التجارية– التي تحققت للجزيرة وحكامها من خلال فرض هيمنتهم على تلك المناطق.

١/٣ السيطرة على الساحل العماني:

احتل الساحل العماني أهمية تجارية كبرى منذ القدم؛ وهذا الأمر يعود إلى وقوعه على الطرق البحرية المتجهة إلى الشمال والشرق والجنوب، وعلى الطريق الرئيس للتجارة الرائجة الممتدة من بلاد

الصين إلى المدن الواقعة على جانبي الخليج العربي، ولهذا لم يكن مستغربا أن يصف الجغرافيون والرحالة بلاد عمان بأنها المرسى الرئيس للسفن القادمة من الصين والهند وبلاد الزنج (٧٣).

تلك الأهمية التجارية والموقع الاستراتيجي لمدن الساحل العماني جعلت حكام هرمز يتطلعون لبسط سيطرتهم عليها، ومما ساعد هؤلاء الحكام على الوصول لهدفهم هو تلك الصراعات الداخلية التي كانت كثيرا ما تنشب بين أئمة عمان الإباضيين، وهو النزاع الذي تركز في محيط قبائل الأزد المشهورة وبطونها مثل الهناوية والكندية واليعاربة. ثم ازداد الأمر سوءا مع ظهور آل نبهان، الذين دخلوا في صراع على السلطة مع الأئمة الإباضيين، فأدى ذلك إلى تخريب البلاد وتمزيق وحدتها. ولما كانت عواصم هذه القبائل تتركز في المناطق الداخلية، لذا لم يولوا كبير اهتمام لتلك المدن الواقعة على الساحل، وهو الأمر الذي استغله أمراء هرمز، وتمكنوا من بسط سيطرتهم على تلك المدن دون مجهود كبير يذكر (٧٤). وقد أشار الرحالة ابن بطوطة صراحة- أثناء زيارته لمدن الساحل العماني- إلى أن "أكثر هذه البلاد في عمالة هرمز" (٧٥).

من ناحيته، يشير تومي بيرس إلى أن معظم المدن الواقعة على الساحل العماني- الخاضعة لنفوذ صاحب هرمز- كان يسكنها في الغالب جماعات من البدو والتجار، حيث كانت التجارة تعد المصدر الأساسي بالنسبة لحياتهم المعيشية (٧٦). وإن كان بربوزا قد ذكر أن هؤلاء البدو كانوا يهددون أحيانا مصالح حكام هرمز؛ إذ إنهم كانوا يجبرون حكام تلك المدن على الخروج على سلطة هؤلاء الحكام، إضافة إلى تهديدهم لمصالحهم التجارية (٧٧). ومن أجل احتكار تجارة هذا الساحل، فقد حرم حكام هرمز الشيوخ العمانيين من الحصول على أي منفذ مستقل على البحر، "وكانت تقمع كل محاولة منهم لشق طريق إلى الساحل" (٧٨). وحتى يتضح لنا مدى الأهمية الاقتصادية التي كان يمثلها هذا الساحل لملوك هرمز، يكفي الإشارة إلى ما سجلته المصادر البرتغالية المعاصرة من أن دخل هرمز

كان يصل سنويا إلى ما يزيد عن ١٩٨ ألف أشرفي، وأن معظم هذا المبلغ كان يأتي من تلك المناطق العمانية، وفي مقدمتها قلهات ومسقط وصحار وخورفكان وجلفار [٧٩].

ومن أهم المدن العمانية التي نجح حكام هرمز في فرض سيطرتهم عليها جلفار التي اشتهرت بصيد الأسماك، كما أنها كانت تعد مركزا تجاريا مهما يقوم بخدمة بعض القبائل التي كانت تقطن المناطق الداخلية في الصحراء والجبال [٨٠]. وبحسب ما أورده الإدريسي فإن تلك المدينة كانت تعد كذلك مكانا مهما لصيد اللؤلؤ [٨١]. وقد خضعت جلفار لنفوذ هرمز أثناء حكم السلطان سيف الدين (٨٢١-٨٤٠هـ/١٤١٨-١٤٣٦م) [٨٢]. ويشير بربوزا إلى قدوم تجار هرمز بكثرة إلى تلك المدينة، حيث كانوا يشترون اللؤلؤ الثمين، الذي يقومون بعد ذلك بحمله إلى بلاد الهند والعديد من المناطق الأخرى. كما أن هذا المؤرخ يشير إلى أن ملك هرمز كان يتحصل على أموال ضخمة من وراء تلك التجارة المزدهرة في تلك المدينة [٨٣].

وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن جلفار كانت تعد مصدرا مهما لتزويد تجار هرمز بما يحتاجونه من خيول، وهي التجارة الأكثر أهمية بالنسبة لهم في علاقتهم مع بلاد الهند، نظرا للأرباح الطائلة التي كانوا يتحصلون عليها من وراء هذه التجارة [٨٤]. ونشير أخيرا إلى أن جلفار ظلت مصدرا رئيسا في تزويد هرمز بما تحتاجه من مياه عذبة ومواد غذائية [٨٥]؛ فقد كشفت الحفريات الحديثة عن أن جلفار وجزيرة قشم كانتا تمونان هرمز الجديدة بالمياه العذبة، كما أن مدينتي جلفار وقلهات كانتا تعدان نقطتين مهمتين للدفاع عن أملاك سلطنة هرمز؛ حيث كان يتجمع في جلفار عدد كبير من الأهالي المسلحين "لمهاجمة العدو حيثما كان" [٨٦].

وخورفكان تعد واحدة من المدن المهمة التي دانت بالولاء لسلطان هرمز، وقد وصفها البرتغاليان بربوزا والبوكيرك بأنها واحدة من أكبر وأجمل مدن الساحل، لذا فقد امتلك فيها أمراء ووجهاء هرمز العديد من المنازل والضياع الريفية، حيث كانوا يقضون فيها سنويا عدة أشهر من أجل الراحة

والاستجمام والحصول على ما يحتاجونه من زاد ومؤن. ونظرا لأهميتها التجارية، فقد كان يقطنها جالية كبيرة من كبار تجار الكوجرات الهنود (٨٧)، كما أن الأموال التي كان يدفعها هؤلاء التجار للسلطة الحاكمة داخل المدينة– "من أجل السماح لهم بأن يعيشوا حسب قوانينهم وعاداتهم"– كانت تصب في خزينة صاحب هرمز (٨٨). من ناحية أخرى، اشتهرت مدينة خورفكان بمزارعها وحقولها الشاسعة؛ حيت كان يكثر فيها زراعة القمح والذرة والبرتقال والبلح وغيرها من الفواكه. وعلى هذا فقد كانت خورفكان وجهة مفضلة للتجار الذين وفدوا إليها بكثرة من مختلف الأماكن، وكان يعد ميناؤها من أفضل موانئ الساحل، ومنه كان يتم تصدير الخيول إلى بلاد الهند (٨٩).

وهناك أيضا مدينة ظفار التي كانت تتبوأ مكانة تجارية مميزة، نظرا للعلاقات الوثيقة التي ربطتها ببلاد الهند، كما أنها كانت محطة رئيسة لمراكب التجار الهنود. فيشير الرحالة ابن بطوطة إلى أنه من تلك المدينة كانت " تحمل الخيل العتاق إلى الهند". ويضيف أن سكان المدينة كانوا يعتمدون بصفة رئيسة على ما تدره عليهم هذه التجارة من أرباح؛ إذ "لا عيش لهم إلا منها" (٩٠). وقد قدم لنا هذا الرحالة وصفا دقيقا للمراسم المتبعة من قبل أهالي ظفار أثناء وصول السفن التجارية إلى مدينتهم، فيقول: "ومن عاداتهم أنه إذا وصل مركب من بلاد الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل، وصعدوا في صنبوق إلى المركب، ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله، وللربان وهو الرئيس، وللكراني وهو كاتب المركب، ويؤتى إليهم بثلاثة أفراس فيركبونها، وتضرب أمامهم الأطبال والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير جندار، وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثا، وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان، وهم يفعلون ذلك استجلابا لأصحاب المراكب" (٩١). كما أشار ابن بطوطة إلى أن سلطان هرمز قطب الدين تمهتن عمل على إخضاع تلك المدينة لسلطانه؛ فقام بمهاجمتها من البر والبحر (٩٢).

وتمكن ملك هرمز كذلك من بسط نفوذه على مدينة مسقط، التي كانت تعد المركز التجاري الرئيس لمملكة هرمز [٩٣]. كما أنها كانت المرسى المفضل لكل السفن التي تبحر في هذه المنطقة من الساحل الهندي باتجاه هرمز، وذلك بفضل مينائها الآمن، المهيأ ملاحيا لاستقبال تلك السفن، بالإضافة إلى وفرة منتجاتها وسلعها؛ لذلك لم يكن مستغربا أن يصف البوكيرك هذه المدينة بأنها تمتلك الميناء الرئيس والأكثر أهمية على طول الساحل العماني [٩٤]. من ناحية أخرى، كانت تعد مسقط السوق الأقدم والأكثر أهمية في تجارة الخيل والتمور [٩٥]. ونظرا لأهميته التجارية ولموقعه الاستراتيجي، فقد اتخذ الفونسو البوكيرك، عام ١٥٠٧م، من ميناء هذه المدينة قاعدته البحرية الرئيسة على الساحل العماني، والتي انطلق منها الأسطول البرتغالي لمهاجمة جزيرة هرمز [٩٦].

ويبدو أن البرتغاليين كانوا يدركون الأهمية القصوى التي كانت تمثلها مسقط لحاكم هرمز، سواء على مستوى المنتجات والسلع المتنوعة التي كانت تحمل إلى جزيرته، أو على مستوى الأموال الضخمة التي كانت تدخل خزينة مملكته من جراء الضرائب المفروضة على أهالي مسقط؛ لذلك فإن البوكيرك عندما وصل إلى مسقط- وهو في طريقه إلى هرمز- اشترط على أهلها- نظير عدم تدمير مدينتهم- أن يتحول ولاؤهم إلى ملك البرتغال، وأن يدفعوا له سنويا تلك الضرائب الضخمة التي كانوا يحملونها إلى متملك هرمز، بالإضافة إلى تزويده بكل ما يحتاج إليه وجنوده من مؤن وسلع [٩٧]. يتبقى الإشارة في هذا السياق إلى أن مسقط كانت تعد مدينة منيعة وحصينة، "حيث إنه لا يوجد مثيل لتحصيناتها على الساحل"، كما أنها كانت تمتلك حامية قوية- على رأسها حاكم المدينة الخاضع لسلطة ملك هرمز- تستطيع الدفاع عنها ببسالة، هذا فضلا عن كثرة عدد سكانها، ولعل هذه الأسباب مجتمعة هي التي جعلت القائد البرتغالي البوكيرك مترددا في فرض الحصار على المدينة ومهاجمتها، أثناء الحملة التي قام بها ضد الساحل العماني عام ١٥٠٧م [٩٨].

وتعد قلهات واحدة من أهم ممتلكات هرمز على الساحل العماني؛ فقد كانت تمثل المقر الرئيس للأسرة الحاكمة في هرمز على الساحل العماني [٩٩]. وكانت تلك المدينة توصف بأنها بوابة هرمز [١٠٠]. بالإضافة إلى ذلك فإنها كانت مركز جباية الخراج السنوي من الموانئ والمحطات التجارية الواقعة على هذا الساحل، والتي كانت ترسل بعد ذلك إلى خزينة حاكم هرمز [١٠١]. وقد بلغت قيمة الضريبة المرسلة من قلهات إلى هرمز مع بداية القرن ٩هـ/١٥م ما يوازي أحد عشر ألف أشرفيا [١٠٢]. وأشار الإدريسي إلى أنه برغم صغرها، إلا أن قلهات تعد مدينة عامرة، ويكثر فيها مصائد اللؤلؤ [١٠٣]. وأثناء زيارته لهذه المدينة، ذكر ابن بطوطة أنها تدين بالطاعة لملك هرمز قطب الدين تمهتن، كما أنه وصفها بأنها "حسنة الأسواق، ولها مسجد من أحسن المساجد"، وسكانها "أهل تجارة، ومعيشتهم مما يأتي إليهم في البحر الهندي. وإذا وصل إليهم مركب فرحوا به أشد الفرح". ويضيف ابن بطوطة أن معظم سكان قلهات ينتمون مذهبيا إلى الخوارج، بيد أنهم لا يستطيعون التصريح بذلك، "لأنهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تمهتن ملك هرمز، وهو من أهل السنة" [١٠٤]. وزار قلهات أيضا الرحالة كونتي Conti وظل بها بعض الوقت قبل أن يواصل رحلته عبر المياه الهندية إلى مدينة كمباي، وقد أشار هذا الرحالة إلى أن لهذه المدينة ميناءا رائعا، كما أنها تعد مركزا تجاريا من الطراز الأول، "ذائع الصيت في كل البلاد الفارسية" [١٠٥].

من جانبه أبدى القائد البرتغالي الفونسو البوكيرك إعجابه الشديد بميناء هذه المدينة وبعظم الحركة التجارية داخله، إذ إنه يذكر أن قلهات تعد من أعظم موانى الشحن البحري، ومينائها كان بمثابة نقطة التقاء للسفن التجارية القادمة من بلاد الهند ومدينة عدن اليمنية، من أجل التزود بكميات وفيرة من التمور والخيول التي اشتهرت بها هذه المدينة [١٠٦]. وكان نائب ملك هرمز في قلهات يحمل لقب "وزير" بصلاحيات مطلقة، فكان من سلطاته "أن يعبئ محاربين مشاة، ويدربهم ويوجههم حيثما يريد، شريطة أن تدفع لهم رواتبهم بانتظام، وأن يسمح لهم بالاشتراك في اقتسام غنائم الحرب" [١٠٧]. وفي هذا السياق يمكن الإشارة كذلك إلى أن قلهات كانت تمثل ملاذا وملجأ لحاكم هرمز في حالة تعرضه

لأخطار داخلية أو خارجية؛ وهو الأمر الذي أشار إليه ابن بطوطة بقوله إنه عندما اشتد الصراع بين ملك هرمز قطب الدين تمهتن وبين أخيه نظام الدين، بعدما انتهز هذا الأخير فرصة خروج الملك إلى هرمز القديمة وبساتينها للتنزه، "فدعى لنفسه وبايعه أهل الجزيرة وبايعته العساكر" وآل إليه كرسي الحكم، فاضطر قطب الدين إلى الانسحاب باتجاه قلهات، التي تعد "من جملة بلاده"، وأقام فيها فترة من الزمن حتى تمكن من استعادة حكم جزيرته، بعدما عمل على التخلص من أخيه بالقتل [١٠٨].

وهناك كذلك مدينة قريات التي وصفها بربوزا بأنها مدينة مزدهرة؛ حيث يوجد فيها بوفرة اللحوم والقمح والتمر والكثير من أنواع الفواكه. ويضيف هذا المؤرخ البرتغالي أن تلك المدينة تعتبر واحدة من أهم أماكن تربية الخيول، لذا فقد كان يستقبل ميناؤها العديد من سفن تجار هرمز، "الذين كانوا يرحلون وراء هذه التجارة أينما وجدت"، من أجل حملها بعد ذلك إلى بلاد الهند [١٠٩]. من ناحيته، يشير البوكيرك إلى أن قريات تعد واحدة من أكبر مدن الساحل العماني مساحة، وهي تضم عددا كبيرا من السكان، يتراوح تعدادهم من خمسة إلى ستة آلاف شخص. وقد تميزت المدينة وضواحيها بوفرة إنتاجها من التمور، التي كان يتم تصديرها إلى العديد من البلدان الخارجية [١١٠]. هذا بالإضافة إلى أن حكام هرمز كانوا يفرضون سيطرتهم ونفوذهم على العديد من المدن والجزر الأخرى، مثل أم القوين وكلبا وشبا وصحار وغيرها من المدن العربية الساحلية [١١١].

مهما يكن من أمر فان نجاح هرمز في إخضاع المدن الساحلية العمانية لسيطرتها قد عاد عليها بالعديد من الفوائد؛ فهي أولا كانت تمثل لها مصدرا مهما لإمدادها بما تحتاج إليه من مياه عذبة وحاصلات غذائية. ثانيا: ظلت تلك المدن الوجهة المفضلة لتجار هرمز من أجل الحصول على أهم منتجين تجاريين بالنسبة لهم، اللذين جلبا لهم شهرة كبيرة وعوائد مالية ضخمة، وأعني بهما الخيول واللؤلؤ. ثالثا: مثلت الضريبة التي كانت تجبى من تلك المدن وتحمل إلى هرمز مصدرا مهما في دخل حكام تلك الجزيرة.

٢/٣ السيطرة على جزر الخليج:

منذ استيلاء ملك هرمز على جزيرة جرون، بدأ الصراع مبكرا بينه وبين حاكم جزيرة قيس (كيش) من أجل فرض السيطرة والهيمنة على حركة التجارة داخل الخليج العربي [١١٢]. ومن أجل تفهم أبعاد وأسباب هذا التنافس والصراع بين الجزيرتين يلزم الإشارة بداية إلى أن قيس أصبحت منذ عام ١٢٢٩م أهم مركز تجاري في منطقة الخليج والمرفأ الأساسي لجميع السفن القادمة من بلاد الهند، وذلك لأنه – بداية من هذا العام – خضعت تلك الجزيرة لحكم أبي بكر سعد بن زنكي بن سنقر بن مودود، والذي كان يحكم إقليم فارس باسم الخان المغولي [١١٣]. ويشير القزويني إلى مكانة قيس التجارية في تلك الفترة قائلا: "وهي مرفأ مراكب الهند والفرس ومنقلب التجارة ومتجر العرب والعجم، .... يجلب منها كل أعجوبة وقعت في بلاد الهند" [١١٤].

وقد عمل خلفاء أبي بكر على الاحتفاظ بتلك الهيمنة التجارية؛ فقام شيخ الإسلام جمال الدين– الذي حكم من ١٢٩٦م إلى ١٣٠٦م– بوضع أسطول في مياه الخليج، وقد كانت مهمته الأساسية حماية السفن والتصدي لأي خطر يهددها، كما أن هذا الحاكم ألزم جميع السفن التجارية المتجهة أو القادمة من بلاد الهند بالرسو في ميناء جزيرته [١١٥]. وعلى هذا فإن الاحتكار الذي لجأ إليه حكام هذه الجزيرة كان لابد وأن يتولد عنه صدام مع حكام هرمز الجديدة، الذين كانوا يسعون هم أيضا لأن تتبوأ جزيرتهم مكان الصدارة في تجارة المنطقة.

ويبدو أن أمراء قيس قد أحسوا بالندم بعدما أهدوا جزيرة جرون طواعية لملك وأهالي هرمز؛ فبرغم أنها لم تكن سوى صحراء قاحلة، إلا أنه كان بوسع من يسيطر عليها أن يوقف ويتحكم في كل السفن التي تحاول الوصول إلى قيس [١١٦]. وقد تبلور الصراع بداية في محاولة كل من حكام هاتين الجزيرتين إجبار قباطنة سفن الهند التجارية على التردد على مينائه وحده دون الميناء الآخر. لكن ما لبثت الأمور أن تطورت، وحاول أمراء قيس اللجوء إلى الحل العسكري؛ فقاموا بتجهيز عدة حملات

لمهاجمة هرمز، وذلك بمساعدة حاكم مدينة شيراز. بيد أن تلك المحاولات أصابت فشلا ذريعا، رغم كثرة عدد السفن والجنود الذين ساروا باتجاه الجزيرة لمهاجمتها (١١٧). وانتهى الأمر بخضوع قيس لحكم هرمز وذلك عام ٧٣٠هـ/١٣٣٠م، على يد السلطان قطب الدين تمهتن الثاني، الذي ترك في الجزيرة حامية كبيرة لحراستها، ثم سار من هناك إلى جزر البحرين (١١٨).

ومما لا شك فيه أن موقع جزيرة هرمز – الذي جعل منها البوابة الرئيسة المتحكمة في حركة دخول وخروج السفن التجارية من وإلى مياه الخليج–، إلى جانب قلة الضرائب والمكوس المفروضة على القوافل التجارية الهندية القادمة إلى مينائها، قد ساهم كثيرا في خروج هرمز منتصرة في هذا الصراع. ومنذ ذلك الوقت فرضت هرمز هيمنتها المطلقة على الحركة التجارية، وبات ميناؤها قبلة للسفن التجارية القادمة من شتى البقاع والأماكن، كما أن أسواقها شهدت رواجا لا مثيل له بفضل السلع والبضائع القادمة من كل أرجاء الدنيا، وقد ظل هذا الازدهار التجاري لهرمز حتى وصول الأساطيل البرتغالية إلى منطقة المحيط الهندي، ومن ثم استيلائهم على المدينة عام ١٥١٥م (١١٩).

وتعد جزر البحرين والقطيف من أهم المناطق التي نجح حكام هرمز في فرض سيطرتهم عليها، ولعل رغبة وتطلع حكام هرمز في اخضاع هذه المناطق لنفوذهم– رغم بعد المسافة بين مدينتهم وبين تلك الجزر– إنما تعود إلى موقعها الاستراتيجي في طريق التجارة عبر الخليج، بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية ومواردها الثمينة (١٢٠)؛ "فالبحرين تشكل لهرمز محطة الاتصال بشمال الخليج العربي، ووسيلة لضمان سلامة السفن المحملة بالبضائع الهندية والصينية وغيرها مما يصدر بالتالي عبر البصرة، وتحمله القوافل البرية إلى سواحل البحر المتوسط" (١٢١). وقد نجح الملك قطب الدين تهمتن الثاني عام ١٣٢٠م في تحقيق تلك الأمنية على أرض الواقع، بعدما تمكن من التغلب على بني جروان، وهم أسرة بدوية كانت تحكم البحرين مع بداية القرن ٨هـ/١٤م (١٢٢). وقد ظلت تلك الجزيرة تدين بالولاء لحكام هرمز حتى ١٥٢١م، وهو العام الذي تمكن فيه البرتغاليون من إخضاع تلك الجزيرة

لسلطانهم، والشيء الملاحظ هنا هو أن البحرين تبوأت مكانة متميزة خلال القرنين اللذين خضعت فيهما لملوك هرمز [١٢٣].

واقع الأمر ترجع شهرة جزر البحرين إلى اللؤلؤ الثمين الموجود في مياهها؛ والذي بسببه ذاع صيتها ليس في منطقة الخليج فحسب وإنما على المستوى العالمي [١٢٤]؛ فيذكر مايلز أن بلاد البحرين كان تعتبر في ذلك الوقت المصدر الرئيس لتزويد الأسواق الأوربية والآسيوية بما تحتاجه من هذه السلعة الثمينة [١٢٥]. بل إن المؤرخ تكسيرا يشير إلى أن البحرين وجزيرة *Manar* (التي تقع بين سيلان وجزر القمر) تعدان أهم مكانين لصيد اللؤلؤ في الشرق كله [١٢٦]. من جانبه، فإن القزويني– أثناء حديثه عن بلاد البحرين– يقول: إن بها "مغاص الدر، ودره أحسن الأنواع، وينتقل إليها قفل الصدف في كل سنة من مجمع البحرين، ... وإذا وصل قفل الصدف يهنئ الناس بعضهم بعضا، وليس لأحد من الملوك مثل هذه الغلة" [١٢٧].

مهما يكن من أمر، فقد أكد المؤرخون البرتغاليون على أن اللؤلؤ المستخرج من جزر البحرين، والمنقول بعد ذلك إلى هرمز، كان يعد من أهم البضائع التي اشتهرت بها هرمز في ذلك الوقت، وأن تلك التجارة كانت تدر أرباحا طائلة لملكها [١٢٨]. كما أنه من أسواق هرمز كان تجار الغرب الأوربي يقومون بنقل هذا المنتج الثمين إلى الأسواق الأوربية [١٢٩]. هذا فضلا عما أشار إليه المؤرخ ابن عربشاه من أن تيمورلنك كان يتحصل على ما يحتاجه من اللؤلؤ من مدينة هرمز [١٣٠]. وإلى جانب اللؤلؤ حمل تجار هرمز من البحرين كميات كبيرة من التمور والخيول التي كانوا يعيدون تصديرها إلى بلاد الهند [١٣١]. كما أنه بفضل خصوبة أراضيها ووفرة المياه العذبة بها أصبحت جزر البحرين لعدة قرون إحدى المحطات التجارية الرئيسة على سواحل الخليج العربي [١٣٢].

وتعد قشم كذلك واحدة من أهم الجزر التي امتلكها حكام هرمز، وقد وصفها بربوزا بمساحتها الشاسعة ومواردها المتعددة [١٣٣]. كما اشتهرت هذه الجزيرة في المقام الأول بنشاطها الزراعي؛ لذا

فإنها كانت تمثل المصدر الأساسي الذي تزودت منه هرمز بما كانت تحتاجه من منتجات غذائية [١٣٤]. وقد وصف تكسيرا هذه الجزيرة بخصوبة أراضيها، وأضاف أن منتجاتها من الخضروات والفواكه تميزت بكونها عالية الجودة [١٣٥].

٣/٣ السيطرة على بعض مدن فارس الساحلية:

مارس ملوك هرمز كذلك فرض سيطرتهم على بعض المدن الواقعة على ساحل بلاد فارس في إقليم كرمان، تماما كتلك الهيمنة التي مارسوها على الساحل العربي. فقد أشار بربوزا إلى أن هرمز استطاعت أن تفرض وصايتها على العديد من المدن الفارسية، التي كانت تمثل أهمية كبيرة لها، نظرا لما تتمتع به من ثراء ووفرة في منتجاتها [١٣٦]. وبحسب المصادر البرتغالية فقد كان لملك هرمز نواب "وزراء" في ثلاث مقاطعات بإقليم كرمان، هي ميناب التي كانت تؤدي ضريبة سنوية لخزانة هرمز تبلغ قيمتها ٢٥٠٠ أشرفي، ومنوجان التي يحمل منها ٣٢٠٠ أشرفي، ومقاطعة ولاشكرد وضريبتها ألف أشرفي. هذا بالإضافة إلى ست قرى في موغ أشتان الغربية، التي كانت ضريبتها السنوية تصل إلى ٤٢٠٠ أشرفي [١٣٧].

وإمعانا منهم في فرض تفوقهم التجاري في تلك المنطقة من ناحية، وتأمينا لمدينتهم من ناحية أخري، فقد فرض ملوك هرمز حظرا على استخدام بعض المواد الاستراتيجية في تلك المدن الفارسية؛ كالأخشاب والحديد والفولاذ وأشرعة وقلوع المراكب. كما أنه كان محرما على السلطات المحلية داخل تلك المدن تشييد وبناء السفن. وفي حالة الحروب كانت تتوقف تماما حركة التجارة، خوفا من استخدام الأعداء لتلك السفن في تنفيذ هجوم ضد هرمز [١٣٨]. وبفضل هذه الإجراءات الدقيقة لم تتح الفرصة لملوك اللار ولا لحكام فارس من أجل تجميع طرادات بعدد كاف لإنزال قواتهم البرية في جزيرة هرمز [١٣٩].

خاتمة البحث

من خلال هذه الدراسة التي عرضت لنشاط هرمز التجاري وسيطرتها على أهم المراكز التجارية في منطقة الخليج العربي، يمكننا التأكيد على أن "هرمز الجديدة" مثلت المركز التجاري الأكثر أهمية في منطقة الخليج، وذلك منذ نشأتها مطلع القرن ٨هـ/١٤م وحتى قدوم البرتغاليين إلى منطقة الشرق، والذين تمكنوا من بسط نفوذهم على معظم المراكز التجارية في منطقة المحيط الهندي، بما فيها هرمز. وقد كان ازدهار هرمز التجاري– والذي انعكس إيجابا على كافة مناحي الحياة في المدينة– ملاحظا من قبل الرحالة الذين قاموا بزيارة الجزيرة خلال هذه الفترة الزمنية؛ فقد جاءت رواياتهم مؤكدة على أن تلك المدينة أصبحت آنذاك ملتقى التجار القادمين إليها من مختلف البلدان– كبلاد الهند وبلاد الصين وبلاد فارس وبلاد اليمن– الذين كانوا يجلبون معهم البضائع الثمينة والنادرة، حتى أنه يقال إن ميناء هرمز كان يستقبل نصف عدد المراكب التجارية الهندية المبحرة باتجاه بلدان الشرق الإسلامي، ونتيجة لذلك فقد أصبحت هرمز بمثابة المستودع الرئيس لكل تجارة الشرق. كما ظهر لنا هذا الزخم والازدهار التجاري من خلال حركة البيع والشراء النشطة داخل أسواق المدينة، التي وصفت بأنها حافلة ومليئة بشتى أصناف السلع والبضائع؛ إذ إن معظم المنتجات والبضائع التي اشتهرت بها بلدان ومدن المحيط الهندي– وفي مقدمتها سواحل الكوجرات ومليبار الهندية– كانت حاضرة وبقوة داخل هذه الأسواق. من ناحية أخرى، أظهرت هذه الدراسة الدور الكبير الذي لعبته السلطة الحاكمة في هرمز من أجل التمكين لمدينتهم تجاريا؛ فإلى جانب الجهود الداخلية المتمثلة في تجهيز ميناء المدينة لاستقبال السفن التجارية، وتوفير الأمن والأمان للتجار القادمين إلى بلادهم، ومراقبة حركة البيع والشراء داخل الأسواق، أقول إلى جانب كل هذا انخرط حكام هرمز في مشروع توسعي كبير، مكنهم من بسط نفوذهم على أهم المراكز التجارية على الساحلين العماني والفارسي، بالإضافة إلى العديد من جزر الخليج، وهو الأمر الي جعل هرمز تتجاوز مسمى المدينة لتصبح مملكة واسعة

الأرجاء. والواقع أن تلك المناطق مثلت لهرمز أهمية من الدرجة الأولى؛ فقد كانت أولا مصدرا مهما لإمدادها بما تحتاج إليه من مياه عذبة وحاصلات غذائية. كما أنها منحت تجار هرمز أهم سلعتين حققوا بهما شهرتهم وثروتهم، وأعني بهما الخيول واللؤلؤ. هذا فضلا عن أن الضريبة الضخمة التي كان يتحصل عليها ملوك هرمز من تلك المدن مثلت مصدرا مهما في دخل وميزانية المدينة.

هوامش البحث

(١) مع بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وقعت حادثة كبرى أثرت على تاريخ هذه مدينة هرمز؛ إذ إنه في ذلك الوقت وأثناء حملة خان مغول فارس غازان ضد الممتلكات المملوكية في سوريا عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، انتهز أحد أمراء أسرة جغتاي التي كانت تحكم بلاد ما وراء النهر- ويدعى قطلق شاه- هذه الفرصة، فقام بإرسال قوة مكونة من عشرة آلاف فارس للإغارة على جنوب وجنوب شرقي بلاد فارس، وهو الأمر الذي أدى إلى إلحاق الدمار بتلك المنطقة. أمام هذا الهجوم اضطر ملك هرمز بهاء الدين إلى اللوذ بالفرار والالتجاء مع أهل مدينته إلى جزيرة قشم. وفي العام التالي طلب بهاء الدين من ملك قيس أن يمنحه جزيرة جرون الخاضعة لسلطته، كي يقيم فيها الملك الهرمزي مع رعاياه. وبفضل وساطة أحد أكابر رجال الدين ويدعى الشيخ إسماعيل وافق ملك قيس على أن يتخلى لهم عن تلك الجزيرة التي أصبحت منذ تلك اللحظة هي قاعدة ملكهم. ومن قبيل التفاؤل وذكرى لموطنهم الأول أطلق الأهالي على الجزيرة نفس مسمى مدينتهم القديمة، فاشتهرت من الآن فصاعدا باسم هرمز. أنظر:

Pedro Teixeira, *The Travels of Pedro Teixeira, with his "Kings of Harmuz"*, Translated and annotated by William F. Sinclair, London, 1902, p. 161-163; A. Fâroughi, "La politique commerciale de l'Iran", in *Journal de Téhéran*, N° 39, février 2009, p. 3; P. Sykes, *A history of Persia*, éd. Routledge Curzon, 2008, p. 189-190.

(٢) في الحقيقة يوجد اختلاف حول تحديد العام الذي ظهرت فيه هرمز الجديدة؛ فالمؤرخ حمد الله مستوفي القزويني يذكر أن أهل هرمز انتقلوا إلى جزيرة جرون في عهد ملك هرمز المعاصر له وهو قطب الدين تمهتن الذي يبدأ حكمه في عام ١٣١٩م. بيد أن تاريخ وصاف- الذي يتوقف عند عام ١٣٤٠م- يذكر أن خراب هرمز القديمة والانتقال إلى هرمز الجديدة تم في عام ١٣٠٠م، وهو نفس التاريخ الذي ذكره الملك والمؤرخ الهرمزي تورانشاه، وهي الرواية التي تبدو أكثر ترجيحا. أنظر: ليلى عبد الجواد، "الحياة في هرمز في العصور الوسطى"، بحث قدم ضمن *ندوة إقليم الخليج على مر عصور التاريخ*، المنعقدة بالقاهرة عام ١٩٩٦م، (منشورات اتحاد المؤرخين العرب-القاهرة، ١٩٩٦م)، ص ٣٣٧.

(3) J. Aubin, "Les Princes d'Ormuz du XIII^{e} au XV^{e} siècle", in *Journal asiatique*, N. 241, Paris, 1953, p. 126-127.

(٤) البحث يحمل عنوان: "هرمز الجديدة وعلاقاتها التجارية الخارجية في الفترة من ٧٠٠هـ/١٣٠٠م إلى ٩٢١هـ/١٥١٥م"، نشر بمجلة التاريخ والمستقبل، الصادرة عن كلية الآداب جامعة المنيا، عدد يناير ٢٠١١م.

(5) L. Anquetil, *Précis de l'histoire universelle*, deuxième édition, Tome VI, Paris, 1801, p. 446 ; J. Pardessus, *Collection de lois maritimes antérieures au XVIII^{e} siècle*, Tome III, Paris, 1834, p. XXXVIII ; C. Cantu, *Histoire universelle*, Traduit par Eugène Aroux, troisième édition, Tome XIII, Paris, 1862, p. 352.

واقع الأمر أن أمور الحكم لم تكن مستقرة في هرمز، وكانت الدسائس والمؤامرات هي المسيطرة على المشهد في ذلك الوقت، وبصفة خاصة خلال القرن الخامس عشر الميلادي. فخلال الفترة من ١٤٠٠م إلى ١٥٠٦م حكم المدينة عشرة ملوك؛ خمسة منهم عزلوا وخلعوا من الحكم، وأربعة قتلوا، وواحد فقط مات ميتة طبيعية وهو توران شاه الثاني (١٤٧٠-١٤٣٦). وعند دراسة هذه الظاهرة، يجب الوضع في الاعتبار أن ظهور بعض الأسر القوية ذات النفوذ، والتي تمكنت من الهيمنة على منصب الوزارة، شاركت بدور فعال في هذا الأمر؛ فهذه الأسر كان لها دور كبير في عزل وتولية وأحيانا التخلص من بعض ملوك هرمز. انظر:

S. Subrahmanyam, *L'empire portugais d'Asie, 1500-1700, une histoire économique et politique*, Paris, 1999, p. 30.

(6) M. Bessière, *Abrégé de l'histoire des établissements européens dans les Indes orientales*, Valenciennes, 1841, p. 48 ; J. Roux, *L'Asie centrale, histoire et civilisations*, Fayard, 1997, p. 34 ; H. Stephens, *Rulers of India, Albuquerque*, New Delhi, 2000, p. 53.

(7) M. Bessière, *Op. cit.*, p. 48 ; C. Cantu, *Op. cit.*, p. 353 ; A. Deleyre, *Histoire générale des voyages*, Tome I, Paris, 1746, p. 245.

(8) O. Martins, *Histoire du Portugal*, traduit du portugais par Claire Cayron, Paris, 1994, p. 193.

(9) P. Sykes, *Op. cit.*, p. 270 ; A. Bouchot, *Histoire de Portugal et de ses colonies*, Paris, 1854, p. 128.

(١٠) محمد حسن العيدروس، *تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر*، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٦.

(11) M. Bessière, *Op. cit.*, p. 48 ; F. De la Primaudaie, *Etudes sur le commerce au Moyen Age (Histoire du commerce de la Mer Noire et des colonies génoises de la Krimée)*, Paris, 1848, p. 142.

(12) M. Bessière, *Op. cit.*, p. 48-49.

(١٣) ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، ط٢، المطبعة الخيرية، ١٣٢٣ هـ، ٢٠٥/١.

(14) *Narrative of the embassy of Ruy Gonzalez de Clavijo to the court of Timour*, translated with notes by Clements Kobert Markham, London, 1859, p. XLIV ; R. Major, *India in the fifteenth century*, London, 1857, p. 5-6.

(15) R. Major, *Op. cit.*, p. 13.

(١٦) ابن قاضي شهبة، *تاريخ ابن قاضي شهبة*، المجلد الثاني، الجزء الأول، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية - دمشق، ١٩٩٤، ص ١٦٣-١٦٤.

(17) Odoric da Pordenone, *The Travels of Friar Odoric*, Introduction by Paolo Chiesa, Cambridge, 2002, p. 74.

(١٨) نقولا زياده، *الجغرافيا والرحلات عند العرب*، الشركة العالمية للكتاب - بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٤١.

(19) *Encyclopédie de l'Islam*, éd. Brill, Leiden, 1975-2005, 3/605 ; P. Rowland, "The city and the sea – Hormuz", in *City and the Sea conference*, Institute of Historical Research, 5-6 October, 2001, p. 5.

(20) G. Bouchon, *Vasco de Gama*, Fayard, 1997, p. 53-54 ; J. Doresse, *L'empire du Prêtre-Jean*, Tome II "L'Ethiopie médiévale", éd. Plon, Pars, 1957, p. 242-243 ; S. Howe, *Sur*

la route des épices, traduit de l'Anglais par le Général Fillonneau, Rennes, 1994, p. 101 ; F. Denis, *Portugal*, Paris, 1846, p. 119-120.

(21) Varthema, *Le voyage de Ludovico Varthema en Arabie et aux Indes orientales* "*1503-1508*", Préface de Jean Aubin, Traduction de Paul Teyssier, Chandeigne, Paris, 2004, p. 110.

(22) Varthema, *Op., cit*, p. 111.

(23) Barbosa, *A Description of the coasts of East Africa and Malabar in the beginning of the sixteenth century*, Notes and a preface by Baron Henry Stanley, London, 1866, p. 37.

(24) Barbosa, *Op., cit*, p. 41.

(25) Barbosa, *Op., cit*, p. 42.

(26) Barbosa, *Op., cit*, p. 43.

(27) Barbosa, *Op., cit*, p. 41.

(٢٨) إبراهيم بشمي، *مملكة هرمز "الفقاعة الذهبية"* ، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر- المنامة، ١٩٩٤م، ص ٢٨.

(29) Tome Pires, *The suma oriental of Tome Pires: un account of the East, from the Red Sea to China*, New Delhi, 2005, p. 19.

(30) Tome Pires, *Op., cit*, p. 20.

(31) Pedro Teixeira, *Op., cit*, p. 168.

(٣٢) إبراهيم خوري، *سلطنة هرمز العربية*، مركز الدراسات والوثائق - رأس الخيمة، ٢٠٠٠م، ١٩٦/٢.

(33) Varthema, *Op., cit*, p. 11٥.

(34) J. Aubin, "Le royaume d'Ormuz au début du XVI^{e} siècle", in *Etudes et documents sur l'histoire de l'océan Indien et des pays riverains à l'époque de la domination portugaise*, Tome II, Genève, 1973, 2/٨٨.

(٣٥) ابن بطوطة، *المصدر السابق*، ٢٠٥/١.

(٣٦) نفسه.

(37) R. Ptak, "Hormuz in Yuan and Ming sources", in *Bulletin de l'Ecole française d'Extrême-Orient,* Vol. 88, Numéro 1, 2001, p. 59.

(38) Barbosa, *Op. cit.*, p. 43.

(39) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/170.

(40) Barbosa, *Op. cit.*, p. 150; E. Piloti, *Traité d'Emmanuel Piloti sur le passage en Terre Sainte*, publié par Pierre-Herman Dopp, Paris, 1958, p. 104 ; G. Bouchon, *Op. cit.*, p. 138.

(٤١) إبراهيم خوري، *المرجع السابق*، ١٠١/٢، ١٠٣.

(42) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/156; G. Bouchon, *Albuquerque, le lion des mers d'Asie*, Paris, 1992, p. 105.

(43) Barbosa, *Op. cit*., p. 42 ; G. Depping, *Histoire du commerce entre le Levant et l'Europe*, Paris, 1830, 1/46 ;

إبراهيم خوري، *المرجع السابق*، 22/٢.

(44) G. Depping, *Op. cit*., 1/46 ; F. De la Primaudaie, *Op. cit*., p. 143.

(45) O. Martins, *Op. cit*., p. 194 ; G. Depping, *Op. cit.*, 1/46.

(46) Tome Pires, *Op. cit*., p. 17.

(٤٧) ابن بطوطة، *المصدر السابق*، ٢٠٥/١.

(٤٨) ابن بطوطة، *المصدر السابق*، ٢٠٥/١ ؛ إبراهيم خوري، *المرجع السابق*، ٩٢/٢ ؛

Tome Pires, *Op. cit.*, p. 20 ; S. Subrahmanyam, *Op. cit*., p. 28.

(49) J. Aubin, *Le royaume d'Ormuz*, 2/157.

(50) *Ibid*.

(51) *Ibid*.

(52) Barbosa, *Op. cit.*, p. 43.

(53) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/158.

(٥٤) إبراهيم خوري، *المرجع السابق*، ٩٢/٢.

(55) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/157 ; D'Urban, *Histoire générale de Portugal*, Tome V, Paris, 1829, p. 95.

(56) Barbosa, *Op. cit.*, p. 43-44 ; Teixeira, *Op. cit.*, p. 168 ; S. Howe, *Op. cit.*, p. 100 ; J. Aubin, *Op. cit.*, 2/156.

(٥٧) ابن بطوطة، *المصدر السابق*، ٢٠٦/١ ؛ S. Subrahmanyam, *Op. cit.*, p. 30

(58) I. Hallberg, *L'Extrême Orient dans la littérature et la cartographie de l'Occident des XIII^e^, XIV^e^ et XV^e^ siècles*, Göteborg, 1906, p. 244.

(59) Barbosa, *Op. cit.*, p. 44.

(60) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/149.

(61) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/157-158.

(62) Barbosa, *Op. cit.*, p. 45-46.

(٦٣) ليلى عبد الجواد، *المرجع السابق*، ص ٣٥٥.

(64) R. Ptak, *Op. cit.*, p. 58.

(٦٥) إبراهيم خوري، *المرجع السابق*، ٣٢/٢.

(66) R. Ptak, *Op. cit.*, p. 58.

(67) C. Cantu, *Op. cit.*, p. 353 ; J. Pardessus, *Op. cit.*, p. XXXVIII.

(٦٨) ابن بطوطة، *المصدر السابق*، ٢٠٥/١ ؛

Varthema, *Op. cit.*, p. 110; Barbosa, *Op. cit.*, p. 35.

(69) Pedro Teixeira, *Op. cit.*, p. 165-166.

(70) Nicolo De Conti, *Le voyage aux Indes de Icolo De Conti (1414-1439)*, Traduction de Diane Menard, éd. Chandeigne, Paris, 2004, p. 17.

(٧١) محمد مرسي عبد الله، "سقوط مملكة هرمز وانتقال التجارة العالمية إلى الإمارات العربية في الخليج"، بحث قدم ضمن *ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ*، المنعقدة بالقاهرة عام ٢٠٠٠م، (منشورات اتحاد المؤرخين العرب-القاهرة، ٢٠٠١م)، ص ٢٣٩.

ينبغي الإشارة في هذا السياق إلى أن هرمز- رغم سيطرتها على العديد من الجزر والمدن الواقعة على السواحل الفارسية والعربية– لم تكن مستقلة استقلالا كاملا؛ فمنذ بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وحتى بدايات القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي دان حكام تلك الجزيرة بالولاء للعديد من الأسر الحاكمة في إيران، كالمغول والتيموريين والقره قوينولو والآق قوينولو والصفويين. وقد كانت صورة هذا الخضوع ممثلة في ضريبة سنوية يقوم ملك هرمز بدفعها إلى حكام إيران. بيد أنه يمكن القول بإن تلك الضريبة – التي كانت تسمى مقررية – والتي كانت تحمل من هرمز إلى الأسرات الحاكمة في بلاد فارس تعود في أسبابها إلى رغبة حكام هرمز في تمهيد الطريق لقوافلهم التجارية، والتي من أجل أن تصل إلى مدن الهضبة الإيرانية، ثم من هناك إلى أسواق الشرق الأقصى كان لابد وأن تمر بطريق تجاري خاضع بالدرجة الأولى لحكام بلاد فارس. انظر:

R. Ptak, *Op. cit.*, p. 31 ; M. Bessière, *Op. cit.*, p. 48 ; S. Subrahmanyam, *Op. cit.*, p. 29.

(72) D. Couto, "Réactions anti-portugaises dans le Golfe Persique (1521-1529)", in *D'un Orient à l'autre*, Actes des troisièmes journées de l'Orient, Bordeaux, 2-4 octobre 2002, édités par Jean-Louis Bacqué-Grammont, Paris, 2005, p. 124.

(٧٣) محمد حميد السلمان، *الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧-١٥٢٥*، مركز زايد للتراث والتاريخ - العين، ٢٠٠٠، ص ٩٩.

(٧٤) محمد حميد السلمان، *المرجع السابق*، ص 102، ١٠٥. واقع الأمر أن سيطرة حكام هرمز اقتصرت على سواحل عمان ولم تمتد إلى الداخل، وذلك يعود أولا إلى الفقر الاقتصادي الذي كانت تعاني منه تلك المدن الداخلية؛ فلم تكن تنتج إلا بعض المنتجات الزراعية، بالإضافة إلى الاهتمام بتربية الخيول. وثانيا لأن المدن الداخلية كانت مليئة بالصراعات بين أئمة الإباضية بعضهم البعض، ثم بينهم وبين الملوك النباهنة، مما أدى إلى فقدان الاستقرار السياسي والاقتصادي. ولهذا ركز الهرامزة اهتمامهم في عمان على موانئ مسقط وصحار

وخورفكان وقريات وقلهات وغيرها. وان كان هذا الأمر لم يمنع من تدخل ملوك هرمز أحيانا في سياسة عمان الداخلية، من ذلك ما حدث عام ٨٩٣هـ/١٤٨٧م عندما قام صاحب هرمز بالوقوف إلى جانب الملك النبهاني سليمان بن سليمان من أجل تثبيت حكمه، والتصدي لقوة الإمام الإباضي عمر بن الخطاب الخروصي. انظر: محمد حميد السلمان، *المرجع السابق*، ص ١٠٥، ١١٢.

(٧٥) ابن بطوطة، *المصدر السابق*، ٢٠٤/١.

(76) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 19.

(77) Barbosa, *Op. cit.*, p. 35.

(٧٨) إبراهيم خوري، *المرجع السابق*، ٧٩/٢.

(٧٩) مايلز، *الخليج بلدانه وقبائله*، (ترجمة) محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، ٢٠١٦م، ص ١٣٧.

(80) D. Agius, *Classic Ships of Islam, from Mesopotamia to the Indian Ocean*, Leiden, 2008, p. 73.

(٨١) الإدريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، (د.ت)، ص ١٦٢.

(82) D. Agius, *Op. cit.*, p. 73.

(83) Barbosa, *Op. cit.*, p. 34.

(84) D. Agius, *Op. cit.*, p. 74.

(85) *Ibid*.

(٨٦) إبراهيم خوري، *المرجع السابق*، ٢٥/٢-٢٦.

(87) Barbosa, *Op. cit.*, p. 34; Afonso Dalboquerque, *The commentaries of the Great Afonso Dalboquerque*, Translated from the Portuguese by: Walter De Gray Birch, London, Part 1, 1875, p. 100.

(88) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/151.

(٨٩) محمد حسن العيدروس، *المرجع السابق* ص ١٢؛ Afonso Dalboquerque, *Op. cit*., p. 100

(٩٠) ابن بطوطة، *المصدر السابق*، ١٩٤/١-١٩٥.

(٩١) *نفس المصدر والصفحة*.

(٩٢) *نفس المصدر والصفحة*.

(93) Afonso Dalboquerque, *Op. cit*., p. 83.

(94) Afonso Dalboquerque, *Op. cit*., p. 72, 77.

(95) Afonso Dalboquerque, *Op. cit*., p. 83.

(96) A. Deleyre, *Op. cit*., p. 281.

(97) Afonso Dalboquerque, *Op. cit*., p. ٧3.

(98) Afonso Dalboquerque, *Op. cit*., p. ٧7-79.

(٩٩) محمد حميد السلمان، *المرجع السابق*، ص 113؛ مايلز، *المرجع السابق*، ص ١٢٨.

(100) Afonso Dalboquerque, *Op. cit*., p. 64.

(١٠١) محمد حميد السلمان، *المرجع السابق*، ص ١١٣.

(102) J. Aubin, *Le royaume d'Ormuz*, 2/113.

(١٠٣) الإدريسي، *المصدر السابق*، ص ١٥٥.

(١٠٤) ابن بطوطة، *المصدر السابق*، ٢٠٣/١.

(105) Nicolo De Conti, *Op. cit*., p. 91.

(106) Afonso Dalboquerque, *Op. cit*., p. 66-67.

(١٠٧) إبراهيم خوري، *المرجع السابق*، ٣٤٠/١.

(١٠٨) ابن بطوطة، *المصدر السابق*، ٢٠٦/١.

(109) Barbosa, *Op. cit*., p. 33.

(110) Afonso Dalboquerque, *Op. cit*., p. 71.

(١١١) ابن بطوطة، *المصدر السابق*، ٢٠٤/١ ؛

Barbosa, *Op. cit.*, p. 34 ; Afonso Dalboquerque, *Op. cit*., p. 86.

(112) A. Fâroughi, *Op. cit.*, p. 3.

(113) A. Fâroughi, *Op. cit.*, p. 3 ; *Bibliothèque universelle des sciences, belles-lettres et arts*, Tome XVIII, Genève, 1821, p. 174-175.

(١١٤) القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد*، ص ٢٤٣.

(115) A. Fâroughi, *Op. cit.*, p. 3.

(116) Teixeira, *Op. cit.*, p. 163.

(117) Teixeira, *Op. cit.*, p. 169-173 ; ليلى عبد الجواد، *الحياة في هرمز*، ص ٣٥١

(118) Teixeira, *Op. cit.*, p. 173 ; D. Agius, *Op. cit.*, p. 81.

(119) A. Fâroughi, *Op. cit.*, p. 3 ; S. Subrahmanyam, *Op. cit.*,, p. 28 ; R. Ptak, *Op. cit.*, p. 29 ; ليلى عبد الحافظ، *المرجع السابق*، ص ٣٥٣

(120) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/100.

(١٢١) محمد حميد السلمان، *المرجع السابق*، ص ١١١.

(122) D. Couto, *Op. cit.*, p. 126 ; A. Stiffe, "Ancient trading centres of the Persian Gulf", in *The Geographical Journal*, Vol. 18, No. 3, 1901, p. 293.

(123) D. Agius, *Op. cit.*, p. 72-73.

(124) A. Stiffe, *Op. cit.*, p. 293.

(١٢٥) مايلز، *المرجع السابق*، ص ١٣٦.

(126) Teixeira, *Op. cit.*, p. 175.

(١٢٧) القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد*، دار صادر- بيروت، (د.ت)، ص ٧٧.

(128) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 20 ; Barbosa, *Op. cit.*, p. 37-38, 42 ; Teixeira, *Op. cit.*, p. 173, 175.

(129) G. Depping, *Op. cit.*, 1/46.

(١٣٠) ابن عربشاه، *عجائب المقدور في نوائب تيمور*، كلكته، ١٢٩٩ هـ، ص ٣١٦.

(131) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/100.

(132) Teixeira, *Op. cit.*, p. 175 ; D. Couto, *Op. cit.*, p. 126.

(133) Barbosa, *Op. cit.*, p. 37.

(134) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/103 ; S. Subrahmanyam, "Of Imarat and Tijarat: Asian merchant sans state power in the Western Indian Ocean, 1400 to 1750", in *Comparative studies in Society and history*, Vol. 37, No. 4, (Oct., 1995), p. 759.

(135) Teixeira, *Op. cit.*, p. 19.

(136) Barbosa, *Op. cit.*, p. 35.

(١٣٧) إبراهيم خوري، *المرجع السابق*، ٢٩/٢.

(138) J. Aubin, *Op. cit.*, 2/143.

(١٣٩) إبراهيم خوري، *المرجع السابق*، 81/٢.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية والمعربة:

الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله)، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، (د.ت).

بشمي (إبراهيم)، *مملكة هرمز "الفقاعة الذهبية"* ، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر- المنامة، ١٩٩٤م.

ابن بطوطة (شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد)، *رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، ط٢، المطبعة الخيرية، ١٣٢٣ هـ.

خوري (إبراهيم)، *سلطنة هرمز العربية*، مركز الدراسات والوثائق - رأس الخيمة، ٢٠٠٠م.

زيادة (نقولا)، *الجغرافيا والرحلات عند العرب*، الشركة العالمية للكتاب - بيروت، ١٩٨٧.

السلمان (محمد حميد)، *الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧-١٥٢٥* ، مركز زايد للتراث والتاريخ - العين، ٢٠٠٠.

عبد الجواد (ليلى)، "الحياة في هرمز في العصور الوسطى"، بحث قدم ضمن *ندوة إقليم الخليج على مر عصور التاريخ*، المنعقدة بالقاهرة عام ١٩٩٦م، (منشورات اتحاد المؤرخين العرب-القاهرة، ١٩٩٦م)، (ص ٣٣٣-٣٦٩).

عبد الله (محمد مرسي)، "سقوط مملكة هرمز وانتقال التجارة العالمية إلى الإمارات العربية في الخليج"، بحث قدم ضمن *ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ*، المنعقدة بالقاهرة عام ٢٠٠٠م، (منشورات اتحاد المؤرخين العرب-القاهرة، ٢٠٠١م)، (ص ٢٣٥- ٢٦٩).

ابن عربشاه (أحمد بن محمد)، *عجائب المقدور في نوائب تيمور*، كلكته، ١٢٩٩ هـ.

العيدروس (محمد حسن)، *تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر*، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – القاهرة، ١٩٩٨م.

ابن قاضي شهبة (تقي الدين أبو بكر بت أحمد)، *تاريخ ابن قاضي شهبة*، المجلد الثاني، الجزء الأول، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية - دمشق، ١٩٩٤.

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)، *آثار البلاد وأخبار العباد*، دار صادر- بيروت، (د.ت).

مايلز (سمويل باريت)، *الخليج بلدانه وقبائله*، (ترجمة) محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، ٢٠١٦م.

ثانيا: المصادر والمراجع الغربية:

Agius (Dionisius A.), *Classic Ships of Islam, from Mesopotamia to the Indian Ocean*, Leiden, 2008.

Anquetil (Louis Pierre), *Précis de l'histoire universelle*, deuxième édition, Tome VI, Paris, 1801.

Aubin (Jean), "Le royaume d'Ormuz au début du XVI^{e} siècle", in *Etudes et documents sur l'histoire de l'océan Indien et des pays riverains à l'époque de la domination portugaise*, Tome II, Genève, 1973, pp. 77-179.

--------, "Les Princes d'Ormuz du XIII^{e} au XV^{e} siècle", in *Journal asiatique*, N. 241, Paris, 1953, pp. 77-138.

Barbosa (Duarte), *A Description of the coasts of East Africa and Malabar in the beginning of the sixteenth century*, Notes and a preface by Baron Henry Stanley, London, 1866.

Bessière (M.), *Abrégé de l'histoire des établissements européens dans les Indes orientales*, Valenciennes, 1841.

***Bibliothèque universelle des sciences**, belles-lettres et arts*, Tome XVIII, Genève, 1821.

Bouchon (Geneviève), *Albuquerque, le lion des mers d'Asie*, Paris, 1992.

--------, *Vasco de Gama*, Fayard, 1997.

Bouchot (Auguste), *Histoire de Portugal et de ses colonies*, Paris, 1854.

Cantu (César), *Histoire universelle*, Traduit par Eugène Aroux, troisième édition, Tome XIII, Paris, 1862.

Couto (Dejanirah), "Réactions anti-portugaises dans le Golfe Persique (1521-1529)", in *D'un Orient à l'autre*, Actes des troisièmes journées de l'Orient, Bordeaux, 2-4 octobre 2002, édités par Jean-Louis Bacqué-Grammont et Angel Pino, Paris, 2005, pp. 123-162.

Dalboquerque (Afonso), *The commentaries of the Great Afonso Dalboquerque*, Translated from the Portuguese by: Walter De Gray Birch, London, Part 1, 1875.

De Conti (Nicolo), *Le voyage aux Indes de Icolo De Conti (1414-1439)*, Traduction de Diane Menard, éd. Chandeigne, Paris, 2004.

De la Primaudaie (F. Elie), *Etudes sur le commerce au Moyen Age (Histoire du commerce de la Mer Noire et des colonies génoises de la Krimée)*, Paris, 1848.

Deleyre (Alexandre), *Histoire générale des voyages*, Tome I, Paris, 1746.

Denis (F.), *Portugal*, Paris, 1846.

Depping (Georges-Bernard), *Histoire du commerce entre le Levant et l'Europe*, Paris, 1830.

D'Urban (Joseph François Fortia), *Histoire générale de Portugal*, Tome V, Paris, 1829.

Doresse (Jean), *L'empire du Prêtre-Jean*, Tome II "L'Ethiopie médiévale", éd. Plon, Pars, 1957.

Encyclopédie de l'Islam, éd. Brill, Leiden, 1975-2005.

Fâroughi (A.), "La politique commerciale de l'Iran", in *Journal de Téhéran*, N° 39, février 2009, pp. 1-5.

Hallberg (Ivar), *L'Extrême Orient dans la littérature et la cartographie de l'Occident des XIII^{e}, XIV^{e} et XV^{e} siècles*, Göteborg, 1906.

Howe (Sonia E.), *Sur la route des épices*, traduit de l'Anglais par le Général Fillonneau, Rennes, 1994.

Major (R. H.), *India in the fifteenth century*, London, 1857.

Martins (Oliveira), *Histoire du Portugal*, traduit du portugais par Claire Cayron, Paris, 1994.

Narrative of the embassy of Ruy Gonzalez de Clavijo *to the court of Timour*, translated with notes by Clements Kobert Markham, London, 1859.

Pardessus (Jean-Marie), *Collection de lois maritimes antérieures au XVIII^e siècle*, Tome III, Paris, 1834.

Piloti (Emmanuel), *Traité d'Emmanuel Piloti sur le passage en Terre Sainte*, publié par Pierre-Herman Dopp, Paris, 1958.

Pires (Tome), *The suma oriental of Tome Pires: un account of the East, from the Red Sea to China*, New Delhi, 2005.

Pordenone (Friar Odoric da), *The Travels of Friar Odoric*, Introduction by Paolo Chiesa, Cambridge, 2002.

Ptak (Roderich), "Hormuz in Yuan and Ming sources", in *Bulletin de l'Ecole française d'Extrême-Orient,* Vol. 88, Numéro 1, 2001, pp. 27-75.

Roux (Jean-Paul), *L'Asie centrale, histoire et civilisations*, Fayard, 1997.

Rowland (Peter), "The city and the sea – Hormuz", in *City and the Sea conference*, Institute of Historical Research, 5-6 October, 2001, pp. 1-7.

Stephens (Henry Morse), *Rulers of India, Albuquerque*, New Delhi, 2000.

Stiffe (A. W.), "Ancient trading centres of the Persian Gulf", in *The Geographical Journal*, Vol. 18, No. 3, 1901, pp. 291-294.

Subrahmanyam (Sonjay), *L'empire portugais d'Asie, 1500-1700, une histoire économique et politique*, Paris, 1999.

--------, "Of Imarat and Tijarat: Asian merchant sans state power in the Western Indian Ocean, 1400 to 1750", in *Comparative studies in Society and history*, Vol. 37, No. 4, (Oct., 1995), pp. 750-780.

Sykes (Percy), *A history of Persia*, éd. Routledge Curzon, 2008.

Teixeira (Pedro), *The Travels of Pedro Teixeira, with his "Kings of Harmuz"*, Translated and annotated by William F. Sinclair, London, 1902.

Varthema (Ludovico), *Le voyage de Ludovico Varthema en Arabie et aux Indes orientales* "*1503-1508*", Préface de Jean Aubin, Traduction de Paul Teyssier, Chandeigne, Paris, 2004.